

كلام تين مصر القديمة

(تابع لما قبل)

لجناب المبر جورج كاتانليس

ولا جرم ان المصريين منزلة عليا بين الامم المتقدمة الفاهرة فلا ينكر انهم خاضوا في كثير من العلوم حتى لا يزال رجال عصرنا يتعجبون من وجود مؤلفات لهم في الاداب والشرائع والدين وفنون الخطابة والهندسة والطب وهلم جرا غير ان الدرجة التي وصلوا اليها في هذه العلوم لم تبلغ من التقدم ما توصل اليه من جاء بعدهم من الامم القديمة الاوربية كاليونان والرومان ومع ان المصريين كانوا كبارا استصحى به من جاء بعدهم من الشعوب القديمة الا انا نقول والتاريخ شاهد ان العلم ليس مذبونا لهم بكثير من تقدمو الحالي وان الفضل في ذلك لليونان والرومان السابقين في مضمار الارتقاء البشري . اما من حيث الصناعة فقد بلغ المصريون شأوا بعيدا وانهم شاهدوا بذلك غير انها لا تخلو من نقص مهم اصلي فقد لاحظ العارفون ان ليس في ابيتهم تناسب ولا في فنونهم تشكيل وان وحدة السباق علة يشكى منها في كلما خلفوه من الآثار

اما شرائع المصريين فكانت بالغة حد الكمال حتى قيل ان موسى ترجم تلك الشرائع الى اللغة العبرانية ولا غرو ان في هذا القول مبالغا اتي بها من رام مناقضة التوراة وليس البحث في هذا الموضوع من متعلقات هذه المقالة على انا نقول كما شهد الباحثون انه ولكن توصل المصريون الى معرفة الحقائق معرفة نظرية تامة فبيتهم الاجتماعية لم تبلغ من الآداب درجة عليا

اما الكتابة المصرية فعلى ثلاثة انواع تعرف بالهيروغليبية والهيراتية والديموتية . فالهيروغليبية كتابة اكثر الآثار واما الهيراتية والديموتية فكتابة اكثر الكتب المصرية وها نوع من الهيروغليبية ولذلك سموها بالنوعين المختصرين وها اسهل كتابة منها ويظهر ان ابتداء استعمال الهيراتية كان في ايام الدولة الثانية عشرة او قبلها واستعملت الديموتية في القرن السابع قبل المسيح حيث قامت مقام الهيراتية لسهولتها وبساطة مناهجها وكانت الهيراتية والديموتية تقرأن من اليمين الى اليسار واما الهيروغليبية فكانت تقرأ تارة من اليمين وتارة من اليسار حسب اتجاه صورها وكانت تكتب خطوطا قائمة في بعض الاحيان ومن نفث آثار مصر القديمة علم انه كان لكل قطر من اقطارها آله لم يكن للعلم

بعد كدب ما غرض من ثروتها فما برح الباحثون يجولون اصل تلك الآلهة وما كانت
 على في بادىء امرها ذلك لما طرأ عليها من التغيرات مع نقادي الازمنة وتراخي الايام
 ولكن الاغلب انها كانت منقسمة الى ثلاث طوائف مختلفة الاصول وهي آلهة الموت وآلهة
 العناصر والآلهة الشمسية وكان في اول الامر لكل طائفة خصائص يمتاز بها عن غيرها ثم
 امتزجت الخصائص بعضها ببعض اعني ان تلك الطوائف تشاركت بالخصائص بحيث لم
 تبقى الواحدة مستقلة بخصائصها حتى اذا مرت السنون وتعاقت القرون اصبح اكثر الآلهة
 نحتاً من بعضها وحسبنا من ذلك ان في اكثر الافطار اصبح كل اله من الآلهة ذاتين توأمتين تارة
 ذكرين وتارة ذكراً وانى الامر الذي حمل المصريين على الاعتراف بالآلهة تتزوج من بعضها
 حتى زعموا ان لكل اله زوجة ولكل اله زوجاً وولداً مساوياً له ولدان وان الاب والامراة
 والابن ثالث يحيط به العدد الغفير من الآلهة الثانوية. ثم لم يكن المصريين بالآلهة
 والإلهات بل توغلوا في الخرافات حتى عبدوا الحيوانات عبادة ربما فاقت عبادة غيرها
 من الآلهة ويمكن ان يستدل على ذلك ما ذكره المؤرخ ديودورس في تاريخه حيث قال
 انه لما زار بلاد مصر وذلك في اواسط القرن الاول قبل المسيح قتل احد الرومان المتبعين
 بالاسكدرية هرةً فاحتاج الشعب لساعته وقتل الثائل رنجاً عما كان للرومان يؤمنون
 سمو المنزلة في البلاد المصرية

واعظم الحيوانات المعبودة الثور ابيض اذ كان المصريين يعتقدون ان لا اب له
 وان امه حملت له من شعاع نور سطع من السماء ولم يكن هذا الثور كبقية الانوار بل
 كان له خصائص يمتاز بها عن غيره وأول تلك الخصائص سواد شعره ووجود بقعة
 بيضاء مثلية الزوايا على جبهته. وزد على ذلك انه لم يعبد اذا لم ير الكهنة على ظهوره صورة
 نسر وعلى لسانه صورة خنفساء. ودامت عبادة الانوار اجيالاً طويلاً منذ ايام ثاني
 ملوك الدولة الثانية حتى اواسط القرن الرابع بعد المسيح وكان في بادىء الامر لكل
 ثور قبر مخصوص في مزار متسع بمدينة منف يعرف باسم سيرايوم ثم اقيم لها قبر عمومي
 في اواسط ملك رمسيس الثاني ثالث ملوك الدولة التاسعة عشرة وقد غطت الرمال
 في ما بعد تلك القبور التي لم تعد للوجود الا في ايامنا هذه حين اكتشفها ماريت بعد
 ان نسبت اكثر من اربعة عشر قرناً

ومن الامور الخليفة بالذكر في هذا البحث ان ديانة المصريين كانت على صورتين
 ديانة باطنة وديانة ظاهرة اما الباطنة فكانت عقيدة الخاصة والمتبعين الذين اعتبروا

الآلهة كرموز عن الاله الواحد واما الظاهرة فكانت ديانة عامة للناس المشركين وهي
الديانة المعروفة عند الباحثين باسم الديانة المصرية
وقد اختلف آراء قدماء المؤرخين في تعداد طبقات الهيئة الاجتماعية عند المصريين
فبعضهم من ذهب الى انها كانت منقسمة الى سبع طبقات وهذا رأي هيرودطس وقال
آخرون ان الطبقات انا كانت خمساً لا غير وهو مذهب ديودورس وقال المؤرخ استرابون
ان الهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية كانت منقسمة الى ثلاث طبقات: الكهنة والجنود
وعامة الناس والمنزل في هذا الباب متبعة المؤرخ استرابون باعتبار ما خرج عن
طبقتي الكهنة والجنود كطبقة واحدة ولكن كان ممكناً تقسيمها الى جملة اقسام ثنوية. وأول
هذه الطبقات واكثرها ثروة واعظها شأنها طبقة الكهنة التي كان يرئسها كاهن هيكل عمون في
طيبة وكانت هذه الطبقة نفسها منقسمة الى جملة اقسام كان في مقدمتها كبراء الكهنة ثم
الانبياء وهم رؤساء الهياكل والراشخون في علم ما حوته الكتب الدينية ثم عامة الكهنة
والموكلون بموجودات الهياكل واخيراً جم غفير من الناس بين الكهنوتية والعلمانية
اما قبايل تلك الطبقة ونظاماتها فقد طبقت الاجيال عليها لما توالى على البلاد
من المحارث غير انه يستدل ما نسى لاهل البحث الوقوف عليه ان تلك القبايل بلغت
من الاتقان شأنها بعيداً الامر الذي جعل الكهنة في اعلى مراتب الثروة والمجد
وقد اختلف المحققون من اصحاب التاريخ فيما اذا كان يجوز للنساء ان يكن كاهنات
فقال هيرودطس انه لم تكن كاهنة في البلاد المصرية واستدل على ذلك من ان كلمة الهيرودطس
الموضوعة لكلمة كاهن لم تكن قابلة للتأنيث وزعم آخرون ضد ذلك على ان هيرودطس
نفسه تكلم عن نساء مقدسات مخصصات لهيكل عمون في طيبة وزد على ذلك ان لنظ
كاهنة مسطر على حجر رشيد والاعلم في ذلك انه لم يسمح للنساء ان يكن كاهنات بل كن
منذ القدم موكلات ببعض وظائف مخصصة بالهياكل وان من الشرائع التي جاء بها الملوك
المكديونيين ما وسع نطاق الشريعة القديمة واجاز للنساء ان يصلن من الكهنوت الى درجة
محدودة. واما طبقة الجنود فيظهر ما ذكره هيرودطس ان عددها كان اكثر من مليونين
اذ قال ان عدد العساكر التي كانت تحت السلاح اربع مئة وعشرة آلاف جندي و زاد
ديودورس على ذلك فزعم ان عدد تلك العساكر كان ست مئة وتسعين الفا الامر الذي
يستدل منه ان عدد تلك الطبقة كان ثلاثة ملايين ونصف مليون وهذا بحث هل كانت
الدولة المصرية قادرة على ابقاء هذا العدد تحت السلاح فان ذلك يقتل على كثير من

الدول في أيامنا هذه والصحيح كما قاله بعض الثقات ان في الرأيين مبالغة وأن ظروف
الجمال لم تكن معوّجة الى ابقاء هذا الصدد تحت السلاح

ويظهر ان عساكر المصريين كانوا على الاكثر مشاة وان المشاة كانوا منقسمين الى
قسمين مختلفين كان لكل منهما اسلحة يتناز بها عن غير فكان عساكر القسم الاول يلبسون
درعاً ويجلبون تروساً وكانت اسلحتهم الرماح والقوس والسيوف المستقيمة والخنجر والقدائم
وكان الآخرون يلبسون في بعض الاحيان خوذة خفيفة ويحملون بالاقواس والنبال او
الرماح. هذا ولا يمكننا ذكر شيء عن مناهج العساكر من حيث التعليم والتدريب اذ لم يقع
اليان شيء من ذلك. وقد نشر اخيراً العلامة ماسيرو صورة كتاب عن المدارس العسكرية
يقلم احد معاصري الملك رعمسيس الثاني وهو غاية ما وصل اليه الباحثون في هذا الموضوع
ومن الامور الغريبة في هذا البحث عدم تخصيص الفرسان على الآثار المصرية الامر
الذي يمكن ان يستدل منه على ان فن الحرب على الخيول كان مجهولاً عند المصريين على ان
ظواهر التاريخ معاكسة لذلك فقد ذكر ديودورس ان عدد فرسان الملك سيزوزترس
كان اربعة وعشرين الفا وقيل ان غازيس قائد جيوشه على ظهور الخيل وزد على ذلك
ان في التوراة ذكر فرسان المصريين الذين جاء ذكرهم ايضاً في النصوص الهيروغليفية حتى
قبل ان قيادة الفرسان كانت منصباً مهماً يتقلده اولاد الملوك والاغلب في ذلك ان الخيول
لم تُعرف في مصر قبل الزراعة الرعاة وان المصريين لم يستخدموها فيما بعد كثيراً ذلك
لعدم اعيادهم عليها ولظننا غير مناسبة للهجوم وعلى كل حال فالحقيق انها استخدمت لجر
المركبات في المحروب وان استخدامها لغير ذلك ما زال مشكوكاً فيه

وقد استعملت الاعلام كثيراً عند المصريين وانما كان التصد بذلك معرفة مراكز
الكتائب في ساحات القتال على ان اعلام المصريين لم تكن كاعلام المتأخرين بل كانت
على الاكثر رموزاً دينية الامر الذي جعل المصريين يدعون كتائبهم باسم آلهتهم ككتائب
الملك رعمسيس الثاني التي كانت تعرف باسم عمون ورا وقتاه وسبت وهلم جرا ولا يمكننا
المنام من وصف ما توصل اليه المصريون في فن الحرب فضلاً عن انهم لم يلقوا بذلك
شأواً بعيداً فان ائندود قوامت المصريين تسعاً وعشرين سنة واورشليم فتحت مرة واحدة
بعد ان حصنها داود ويظهر ان ذلك كان بالتسليم وليس بالهجوم

وقد ظهر لاهل البحث ان المصريين الاقدمين لم يعرفوا فدية الاسرى بالمال او غيره
بل ذهب بعض المورخين الى ان الملوك كانوا يتكفون بكمبار الأعداء بعد اسرهم واستدلو

على ذلك من ان على الآثار المصرية صوراً عديدة تدل على ذلك وقال آخرون ان تلك الصور لم تكن الا رموزاً وان ما بلغه المصريون من التمدن كان امراً مانعاً لارتكاب تلك الجرائم والصحيح ان هذا بحث لم تنزل اسراره مكنومة في صدور الايام فلا يمكننا في حالة التاريخ المحاضرة ايضاح ذلك عن يقين جازم

منشأ الحياة

يقام جناب لويس انندي بدور

اذا قطعنا اليد ونظرنا اليها نراها ميتة بيد ان كانت حية فكيف ذهبت الحياة منها ولم تذهب من سائر الجسم فاننا نراه باقياً حياً قائماً بوظائف الحياة كما كان قبلاً فكأن اليد ليست مقر الحياة . واذا قطعنا الرأس تذهب الحياة بنهاها من الجسم فهل الرأس مقر الحياة واذا كان الامر كذلك فلم تذهب الحياة اذا نزعنا القلب والرأس باقى فهل القلب مقر الحياة فيل ان الحياة بالدم اذ لا حياة بدونها فقولنا بفريق لم يفقد رأسه ولا قلبه ولا دمه ولا عضواً من اعضاءه فابن الحياة اذا وابن مقرها تلك مسألة ذات شأن اشغلت عقول الفلاسفة والعلماء مدة احقاب طوال وهم لا يزالون يبحثون ركاب السعي والنجح وراء غرائب غوامضها وخبايا دقائقها حتى انجملت لهم امور كثيرة كادت تكثف الغطاء عن حقيقة امرها

فمسألة الحياة في ايامنا المحاضرة مختلفة جداً عما كانت عليه قبلاً لان العلماء بنأ ملامتهم واختناهم توصلوا الى الوقوف على اشياء شتى كانت مبهولة من قبل فهم لا يخشون الآن في ان قوة العضويات ليست ناتجة عن قوة حيوية فيها بل هي كباقي القوى الطبيعية جزء من تلك القوة العامة الوجودية في العالم فكل حرارة وحركة في الحيوان ليست سوى فرع من تلك القوة المصلة بعالمنا من الشمس وقد انتقلت على هذا الاسلوب - ان النبات يتمكن من استخدام نور الشمس لبنائه من المركبات البسيطة الماء والحمض الكربونيك والامونيا وذلك بواسطة المادة الموجودة في المساء بالكثوروفيل ومعلوم في الطبيعيات ان بناء مركب كياوي من اجسام بسيطة لا يتم الا باجراء قوة كما انه لا يتم بناء بيت ولا وضع حجر فوق آخر الا بقوة وهي تبقى مخفية الا انه يمكن استخلاصها واظهارها بدم البناء وتفريق الحجارة . فكل مركب كياوي يمكن ان يدعى مستودع قوة . خذ نباتاً